

الخصائص

وحكى أبو الفضل الرّياشيّ قال : جئت أبا زيد لأقرأ عليه كتابه في النبات فقال : لا تقرأه عليّ - فإنني قد أنسيتُهُ .

وحدّسنا من هذا حديثٌ سيّويه وقد حطب بكتابه - (وهو) ألف ورقة - علاّما مبتكّرا ووضعا متجاوزا لما يسمع ويرى فلاّما تُسند إليه حكاية أو توصل به رواية إلا الشاذّ الفذّ الذي لا حفّول به ولا قدر . فلولا تحفّظ من يليه ولزومه طريق ما يعنيه لكثرت الحكايات عنه ونيطت أسبابها به لكن أخذ كل إنسان منهم إلى عصمته وادّرع جلاب ثقتهم وحميّ جانبه من صدقه وأمانته ما أريد من صون هذا العلم الشريف (له به) .

فإن قلت : فإننا نجد علماء هذا الشأن من البلدين والمتحلّين به في المصنّعين كثيرا ما يهجن بعضهم بعضا (ولا) يترك له في ذلك سماء ولا أرضا .

قيل له : هذا أوّل دليل على كرم هذا الأمر ونزاهة هذا العلم ألا ترى أنه إذا سبقت إلى أحدهم ظنّة أو توجّهت نحوه شبهة سبّ بها وبرئ إلى الله منه لمكانها . ولعل أكثر من يُرمَى يسقطه في رواية أو غمّر في حكاية محمديّ جانب الصدق فيها بريء عند الله ذكره من تبعتهما لكن أُخذت عليه إما لاعتنان شبهة عرضت له أو لمن أخذ عنه وإمّا لأن ثالبه ومتعيّبه مقصّر عن مغزاه مغضوض